الانشاء والمنشئون

(تتمة ما سبق في العدد الماضي ← ص ٨٠)

وعلى ذكر الجغرافية يجب ان يعد في جملة الادب الجيد ما كتبه ياقوت الحموي فان « معجم البلدان » « ومعجم الادباء » من انفس ما كتب الكاتبون في هذا القرن كما ان ما كتبه القفطي (٦٤٦) في « اخبار الحكماء » وما كتبه ابن ابي اصيبعة (٦٦٨) في « طبقات الاطباء » يعد من الادب العالي في تراجم الناس . ومن هذه الكتب الاربعة التي طبعها المستشرقون استفدنا اموراً كثيرة في الحضارة العربية لم نكن نعرفها من قبل كما استفدنا اي استفادة من نشرهم لنا (تاريخ الرسل والملوك) لابن جرير الطبري « ومروج الذهب » للمسعودي و « الكامل » لابن الاثير و « تاريخ اليعقوبي » و « تاريخ سني ملوك الارض والانبياء » لحمزة الاصفهاني و « الفخري » لابن الطقطقي و « البدء والتاريخ » لمطهر بن طاهر المقدسي وغير ذلك من تواريخ الاولين وكذلك استفدنا من نحو خمسة عشر مجلداً لجغرافيي العرب طبعوها فعلمونا بها تاريخ بلادنا الاقتصادي والعمراني واشياء مهمة لم نكن نحلم بوجودها وكثر بها رأس مالنا من الفصيح والتعابير العلمية

ومن كتاب القرن الثامن في مصر والشام ابن فضل الله العمري صاحب (مسالك الابصار) و (التعريف بالمصطلح الشريف) والصلاح الصفدي (٧٦٤) صاحب (الوافي بالوفيات) و (تحفة ذوي الالباب) و (نكت الهميان) و (جنان الجناس) و (دمعة الباكي) والشهاب محمود الحلبي صاحب (حسن التوسل في معرفة صناعة الترسل) وعلاء الدين بن غانم واحمد الانصاري وابن القيسراني وكمال الدين الزملكاني . ونبغ في الاندلس لسان الدين بن الخطيب ولو لم يكن له الا (الاحاطة في اخبار غرناطة) لكفى في تفوقه في كتابته وشعره فانه صور وترجم لهم كأنك تراهم فهو كاتب ومصور على ما يظهر . ونفح الطيب للمقري يحوي طرفاً صالحاً من نظم لسان الدين ونثره مع زمرة من رجالات الاندلس . وقد حل لسان الدين بعض القيود في الكتابة هو وصاحبه ابن خلدون (٨٠٨) وكان الكتاب قبلهما ولا سيما في القرنين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السادس والسابع يقلد بعضهم بعضاً فاصبحت الصناعة تسير نحو التقليد لا إبداع فيها ولا تجديد . فالمجددون في الحقيقة في القرن التاسع هما عبدالرحمن بن خلدون ولسان الدين بن الخطيب . ولم تكن تكتب العلوم الاجتماعية والتاريخية قبل ابن خلدون بمثل ذاك اللسان الذي استعمله . ولا غرو فهو وصاحبه حسنة من حسنات الاندلس، وزهرتان ناضرتان من الزهور التي اهداها المغرب للمشرق وبهما ختم عهد الاندلس

***

كانت دواوين الانشاء في قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد وغيرها من مراكز الحكومات في القرون الوسطى مدارس لتعلم الانشاء . والاخذ من فن الادب العربي الواسع فلما انحلت دولة الاندلس ، واستولى الترك العثمانيون على مصر والشام والعراق بطل التناغي بالادب والانشاء لان التميز في هذا الشأن اصبح لا يجدي صاحبه شيئاً ، وغدا فن الانشاء مقصوراً على بعض افراد في كل قطر عربي يستخدمونه حلية وزينة ، واذ لم يبق في الحكومات من يقدر الادب قدره ، ضعف بحكم الطبيعة ، وزاد عدد الشعراء اكثر من الكتاب لسهولة الشعر ، وامكان الانتفاع به في المديح . وان كان الشعراء في كل دور من ادوار العرب فيما رأينا اكثر من الكتاب بما لا يقاس

طالع كتاب «عجائب المقدور» في اخبار تيمور المسجع المجنس و«فاكهة الخلفاء» وكلاهما لابن عربشاه من اهل القرن التاسع وتأملهما وتأمل «تاريخ العتبي» وسجعه تجد حتى في السجع فروقا واي فروق . وطالع «مقامات السيوطي» و «مقامات ابن الوردي» وعارضها بمقامات الحريري وبديع الزمان يتجلى لك الفرق بين النمط العالي على ما يقال فيه والذي دونه بمراحل . واقرأ «ريحانة الالباء» للشهاب الخفاجي ، وطالع سجعه الذي هو ارقى سجع في القرن العاشر ، تجد بينه وبين نثر ابن بسام في «الذخيرة» وابن خاقان في «قلائد العقيان» فرقا بينا أيضاً ، كما أنك قلما تجد في الادباء الذين ترجم لهم الخفاجي وكانوا تقدموه وعاصروه في الشام ومصر والحجاز واليمن والمغرب الاشاعراً . والكتاب قلائل . والادب العربي كاد يستحيل الى أماديح وأكثره للتزلف من الكبراء وهو ضيق العطن ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مبتذل الديباجة ، فللنثر اسجاع، تشق على الاسماع ، وللنظم قوافٍ لا تألفها الطباع والروح منقولة، والالفاظ من جنس المبتذل مدخولة، ومعظم المنشئين والمتأدبين يكتبون نمطاً واحداً من عهد ابي اسحق الصابي واحمد بن يوسف الى عهد لسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون وهما اللذان أثبتا ان للمعاني تأثيراً اعظم من تأثير الالفاظ فأتيا بالجديد المبتدع ، وخلص كلامهما من المصنع الغث ، وسارا مع الطبع في التأليف والوضع

وفي القرن التاسع نشأ القلقشندي (٨٢١) صاحب « صبح الاعشى » وكتابته من السجع على الطريقة الفاضلية المتناسبة مع زمنه ، وقد جمع في كتابه نموذجات من انشاء العصور السالفة الى عصره ، فكان كتابه معلمة (انسيكلوبذيا) للمنشئين كما كان كتاب (نهاية الارب للنويري) . واهل البصر بعيوب الكلام يفضلون على القلقشندي المؤرخ المقريزي وجلال الدين السيوطي . ومن كتاب القرن التاسع محمد بن ابي بكر المخزومي ومحمد بن عبد الدائم وابن حجة الحموي (٨٣٧) وكتابا (خزانة الادب) و (ثمرات الاوراق)لابن حجة مثال التكلف ، ومن اقتصر في درسه عليهما تحدثت فيه ملكة البيان لا محالة

والقرن الحادي عشر مبدأ قرون الظلمات في الكتابات فان (نفحة الريحانة) للمحبي صاحب (خلاصة الاثر)في اعيان القرن الحادي عشر نموذج من نثر ذاك العصر، ومن ترجم لهم من الادباء واكثرهم ممن ترجمهم في (خلاصة الاثر)عنوان اهل جيله وكذلك يقال في (سلافة العصر) لابن معصوم من اهل ذاك القرن فان سجعه متكلف ، ومن ترجمهم وليسوا من الكتاب قل فيهم النبوغ ، وغاية جادة المجيد منهم ان ينظم قصيدة غزلية تقع موقع القبول من بعض القلوب ، او قصيدة يتكسب بها من ارباب المظاهر ، او يؤلف كلمات مسجوعة متشاكلة هي والشعر ، ومثل ذلك يقال في كلام الحسن البوريني « ١٠٢٤ » في تراجم الاعيان فانه من هذا البحر والقافية . وكان في اوائل هذا القرن رجل استفاضت شهرته لانه جمع علوما كثيرة وكان اديباً بارعاً وهو بهاء الدين العاملي « ١٠٣١ » صاحب «الكشكول » و «المخلاة » و« اسرار البلاغة »فانه كان زينة عصره في الادب متفنناً في تنويع موضوعاته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وما قيل في المحبي وابن معصوم واليوريني يقال في الغزي مترجم اهل القرن الحادي عشر والمرادي مترجم علماء القرن الثاني عشر وما اورد هذا لهم من الشعر والنثر في كتاب (سلك الدرر) وبعضه اثقل من رضوى وابرد من عضرس وابن هو من السخاوي في (الضوء اللامع لاهل القرن التاسع) ومثل هذا قل في كتاب اهل القرن الثالث عشر مثل سجع البربير (١٢٢٦) في (مقاماته) وابن شاشو في (تراجم اعيان دمشق) فانه غاية ما وصلت اليه الكتابة من الابتذال والسجع الثقيل على الطبع . ولكن هذا القرن تجلت في اواخر نصفه الاول حركة تجدد فاختلط اهل مصر والشام بأهل الغرب ولا سيما مع علماء فرنسا وتخرج بعض ابناء القطرين في جامعاتها ، فأخذت المترجمات في العلوم المختلفة على عهد محمد علي مؤسس الدولة العلوية المباركة تؤثر تأثيرها المطلوب في روح الكتابة ، واخذوا طرفاً من آداب الغربيين ولا سيما الفرنسيون نقلوه الى العربية نقلاً ضعيفاً ركيكاً وايقن الدارسون من أبناء مصر والشام ان الآداب العربية خلت في أرقى عصورها من التمثيل وان لم تخلُ من القصص والروايات والحكايات التاريخية والادبية ، ولكن على صورة مصغرة

ومن المجددين الذين ختم بهم القرن الماضي احمد فارس الشدياق اللبناني فانه اقام سنين طويلة في انجلترا وفرنسا ومالطة والاستانة ونقل للعرب طريقة جديدة في تآليفه ، وترك اثراً جميلاً من نبوغه وتفننه في اساليبه . وفي كتابه (الساق على الساق) و (الواسطة في معرفة احوال مالطه) ومقالاته العلمية في جريدة الجوائب التي جمعت في (كنز الرغائب) و (الجاسوس على القاموس) و (سر الليال) يتجلى للناقد البصير كيف قلب الافكار ، وأتى العرب بنمط مبتكر في التفكر والبحث ، وفهم الادب على غير ما فهمه اهل عصره ، ومن سلفه من الاعصار

وممن كان في النصف الثاني من القرن الماضي في مصر وعدّ امام النهضة الحديثة رفاعة بك الطهطاوي (١٢٩٠) فانه ترجم وألف كثيراً وبه تخرج عشرات من رجال مصر ، وكان السجع يغلب عليه . ومن أدبائهم عبدالله فكري باشا وهو ملتزم السجع ، ولكنه السجع القصير البعيد عن التكلف في الجملة ، وكذلك علي مبارك باشا (١٣١١) واهم الرجال الذين ادخلوا الانشاء في طور جديد ، وحلوه من قيوده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الثقيلة التي رسف فيها فروناً ، الشيخ محمد عبده المصري (١٣٢٢) فانه كان خطيباً مصقعاً وكاتباً بليغاً ، ولم يعهد لرجال الدين كاتب مثله في القرون الاخيرة ، فكان كما قيل فيه يكتب الشريعة بلسان صاحبها ، تشهد له بذلك (رسالة التوحيد) و (الاسلام والنصرانية) و (رحلته الى ايطاليا) و (درس تفسيره) وقد تخرج به كثيرون من رجال مصر الحديثة ، كما تخرج بصديقه الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي كثير من رجال النهضة في الشام ، فان هذا ايضاً خلع الثوب القديم البالي في الانشاء بعد ان لبسه في اول عهده واخذ يسير مع الطبع ، تاركاً للجناسات وانواع البديع جانباً ، تشهد له الكتب الكثيرة التي ألفها في الشريعة والطبيعة واللغة والآداب ونشأ في الشام كتاب عصريون منذ خمسين سنة ومعظمهم ممن تشبعوا باللغات الافرنجية والمبدع منهم قليل ، ولا نذكر انه نشأ في الشام على عهدها الاخير كاتب مثل ابراهيم المويلحي المصري في ابداعه ولا سيما الجد في قالب الهزل وكان يقلد الجاحظ في سرد الحقائق على اسلوب الرياليست ، ونشأ في الانشاء في الشام أمثال ابراهيم اليازجي وابراهيم المصور وشكيب ارسلان ويعقوب صروف وغيرهم من المجودين وفي مصر امثال حفني ناصف وقاسم امين وابراهيم اللقاني واحمد سمير واضرابهم من الاحياء والاموات في الاقطار العربية ولو كتب لبعض الكتاب المشهورين في الشام والعراق ان يحذقوا أدب الغرب كما حذقوا أدب العرب لخدموا الادب كثيراً بيد ان الاجادة المتناهية قليلة ، وعيوب الانشاء تبدو اكثر من عيوب الشعر وفي الثاني يغتفر ما لا يغتفر في الاول ، فقد قال لابرويير : أربعة لا يطاق فيها الاعتدال الشعر والموسيقى والخطابة والتصوير

الى اليوم على كثرة اختلاط مصر والشام وتونس والجزائر بادباء الغرب واخذهم عنهم لم يكتب للغة العربية اقتباس التمثيل كما هو الحال في الغرب وذلك لان التمثيل عارض في المدنية العربية ، وايجاد المفقود أصعب من اصلاح الموجود ولكن الخروج بالكتابة عن روحها العتيقة مع الباسها الحلة العربية القديمة التي كانت لها في القرنين الثاني والثالث مثلاً والرغبة في القصص والنوادر آخذة بالترقي ، ومعظم قصصنا ونوادرنا وروايانا التشخيصية محتذاة من الافرنجية او منقولة عنها بالحرف ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذا من أبشع ضروب الاقتباس ، ولعله لا يطول الامر حتى ينشأ للامة العربية روائيون وقصصيون وكتاب فاجعات ومآس على الصورة التي جرت عليها أمم الحضارة الحديثة فيعود ارباب الاقلام الى الابداع والاختراع ويسير المنشئون بروح الامة يعالجونها بما يوائمها . فما ينفع من ادب الغرب قد لا ينفع ولا يلتئم مع حالة ابن المشرق

***

اكتب هذا بمناسبة سفر بديع ظهر حديثاً (١) في عالم الادب العربي فادخل السرور على قلوب انصار التجدد واعني به كتاب « مطالعات في الكتب والحياة » لكاتب من افذاذ الكتاب بمصر الاستاذ العقاد ومؤلفه بحاثة نقادة في الادب والشعر على مثال أدباء الغرب . نشر قبل سنين كتاب (الفصول) فأجاد والآن جاء يعيد واهل حلقته ، تلك الطريقة وينشر على الادب جملة فضله الرائع ، الذي جمع فيه بين اجمل القديم وانفع الحديث . ومن حسنت ملكته وصحت قريحته كان جديراً بان يختار الاطايب في كل ما يعرض له

تقرأ الاستاذ العقاد فتظنك تقرأ نقاداً من نقاد فرنسا أمثال : فاجيه ، ولمتر وبيدو ، وبريسون ولكن بديباجة عربية تشبه اللغة يوم عزها ، وبدهشك بسلامة ذوقه ، وسلاسة تعبيره ، ورصف جمله ، ورنة تراكيبه ، وقلما يكتب ذلك الا لافراد في كل عصر ، فقد كانت الطبقة السابقة التي حاولت ادخال هذه الطريقة في اللغة الى جانب القصور ، لضعف ملكاتها من اللغة التي حاولت تبديل قيافتها ، وكثيراً ما كانت ضعيفة ايضاً في اللغة التي حاولت الاخذ عن بنيها ، تفهم الالفاظ ولكنها عن المعاني بمعزل . بيد ان هذا النابغة رزق السعادتين ، فاتقن الادب الافرنجي اتقانه للعربي ، وجاء منه جهبذ بحاثة ، ذو اسلوب مبتكر لا ينكره المنصفون من الغالين بتمجيد القديم ، ويغتبط به المجددون أية غبطة

منذ اكثر من خمس وعشرين سنة وانا انظر في الكتب العصرية التي تخرجها

---

(١) « مطالعات في الكتب والحياة » الاستاذ عباس محمود العقاد طبع بالمطبعة التجارية الكبرى في مصر سنة ١٣٤٣ — ١٩٢٤ ص ٣١٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المطابع العربية في الشرق والغرب ، فلم اكد اقرأ كتاباً في الادب المعاصر تأليفاً كان ام ترجمة الاّ وتتراءى لي كثرة تقريظه في تأليفه ، وقلما رأيت إبداعاً الاّ في بعض التآليف أمثال « حديث عيسى بن هشام» للمويلحي الصغير و(النظرات) و (العبرات) للمنفلوطي و (ليالي سطيح) لحافظ وبضعة كتب اخرى ليست على خاطري . رجوت لها الخلود ، وباقيها ومنه المسجع او الممسوخ او الملوخ او المنسوخ لا استحي ان اقول انها لتتساقط كما يتساقط ورق الشجر في الخريف ، وتضيع كما تضيع مقالات الصحف اليومية بعد صدورها بساعات معدودة

لم يبرح النزاع عندنا بين انصار الجديد والقديم على أتمه ، ولكن التطور يعمل عمله ، رغم احتجاج المحتجين ، وصياح الصائحين ، والانتقال محسوس في الادب ، كما هو محسوس في كل اطوار الحياة عندنا ، وانت اليوم اذا قرأت صفحة من (مقامات اليازجي) او رسالة من (رسائل الاحدب) أو جملا من مصطفى نجيب وحمزة فتح الله على تلميذ شدا شيئاً من الادب يضحك مما تسمعه ، ويقول لك هذا كلام يضعف اللغة ويذهب ببهجتها والفاظه اكثر من معانيه . ولكنك اذا تلوت عليه صفحات من السيد العقاد تطربه نغمته ، وتعجبه ديباجته ، فتستغرق معه ساعات في المطالعة لا تمل ، وكلما أتممت فصلاً وددت لو طال اكثر . فمقالات العقاد في تحليل روح المعري وحياة المتنبي وأدبه دلت على ادب بارع ونفس طويل ، وخواطره في ماكس نوردو وأناتول فرانس والشعر ومزاياه والطبع والتقليد وعبقرية الجمال والتشاؤم وادوار العمر كل ذلك مما يحمل للقاريء علماً طريفاً وتليداً ، ونبوغاً وعبقرية وتجديدا ، يروقك باسلوبه فتستفيد من الفكرة ومن القوالب البديعة التي ظهرت فيه

طلق الاستاذ العقاد الاسجاع والجناس وانواع البديع ، وجاءنا بانشاء فيه طلاوة الحديث بسبكه ومعناه ، وجلالة القديم ببيانه ، وربما تلوت له فصلاً برمته وليس فيه سجعة أو معنى مكرر ، تراه يكتفي في تصويره بعشرة الفاظ ، وكان غيره يحشر له العشرين والثلاثين لفظة ، واذا عمد الى استعمال الفصيح الذي لم يبتذل ، فانه يكون في كلامه بمقدار الخال في صفحة الوجه الجميل اما التراكيب فتظن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نفسك وانت تقرأ كلامه امام (أبدى بدوي وعلى طباع افصح عربي)

وان اهل هذه الطبقة العالية ، قد اكذبوا القائلين بان العربية لا يتسع صدرها للمعاني الجليلة ، وان العرب عنوا بالالفاظ اكثر من المعاني ، وما الالفاظ الا القوالب فقد قال ابن جني في الخصائص ، رداً على من ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ واغفالها المعاني . ان العرب كما تعنى بالفاظها ، وتصلحها وتهذبها وتداعبها ، وتلاحظ احكامها بالشعر تارة ، وبالخطب اخرى ، وبالاسجاع التي تلزمها وتكلف استمرارها فان المعاني أقوى عندها ، واكرم عليها ، وافخم قدراً في نفوسها ، فأول ذلك عنايتها بالفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقا الى اظهار أغراضها ومراميها ، اصلحوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب في الدلالة على القصد . فاذا رأيت العرب قد أصلحوا الفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها ، وصقلوا غروبها وأرهفوها ، فلا تريد ان العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ بل هي عندهم خدمة منهم للمعاني ، وتنويه بها ، وتشريف منها ، ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحصينه ، وتكوينه وتقديسه وانما المبغي بذلك منه الاحتياط للموعى ، وعليه جوازه بما يعطر نشره ... وقال عبدالقاهر الجرجاني في (دلائل الاعجاز) : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه . ولا يكون لفظه أسبق الى سمعك من معناه الى قلبك . وقولهم يدخل في الاذن بلا إذن ، فهذا مما لا يشك العاقل في انه يرجع الى دلالة المعنى على المعنى وانه لا يتصور ان يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة

قلنا وهذا ما جعله المجودون من كتابنا المعاصرين نصب اعينهم فلم يقنعوا بالقشور بل اهتموا باللباب ، وعنوا بالقوالب وما تحويه ، واذ قد أرهفوا اقلامهم لنقد الكاتبين المتوسطين كانوا أحرياء بأن يظهروا كتاباتهم خالية من الشوائب اللفظية والمعنوية ، وادبنا في كل عصر ما خلا من نقاد يوازنون بين كلام المبرزين في منثورهم ومنظومهم ، ينوهون بالكلام الشريف ويرذلون الساقط الوضيع ومعولهم في احكامهم على قوانين البلغاء والذوق السليم

لو لم تنقل عين العناية بعد القرن الرابع للهجرة عن الاقتباس عن الامم الاخرى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولو لم يكتف اهل الادب والعلوم بما حصل لهم ونقحوه وأضافوه حتى القرن الثالث عشر اي لو لم نقف بأدبنا عند حد ما عرفنا تسعة قرون ، لكنا اليوم كفرنسا بالشعر والادب نفهم منهما ما يفهمه الفرنسيس بل سائر امم الغرب الراقي من الشعوب الانجلوسكسونية واللاتينية والسلافية ، ولكنا نناف جوائز نوبل في الادب على نحو ما يأخذها الهولانديون والسويديون على الاقل ونحن معاشر العرب بعددنا نحو عشرة اضعاف كل امة من تلك الامم الصغيرة المدنة .

وانا لنرى هذا التجدد محسوساً في الشعر كما هو محسوس في النثر فقد جاء محمود سامي البارودي اواخر القرن الماضي في شعره عربياً قحا وتلاه اسماعيل صبري بشيء من ادب العصر فحل قيداً من قيوده وجاء بعدهما حافظ ابراهيم بشعره الاجتماعي المرقص ففك قيود سابقيه وسيجيء صاحب السلسلة الرابعة بما ليس الآن في الحسبان والتجدد والنشوء الاجتماعي . لا جرم ان للصحف والمجلات اليوم يداً طولى في هذا التطور فانها تنقل الينا كل يوم شيئاً جديداً عن آداب الامم الاخرى وكلما تطورت مدنيتنا بطور العصر فالادب اول ما يتطور فينا . يعلم ذلك كل من تصفح سفراً نشر قبل خمسين سنة وكتاباً نشر اليوم ، ومن تلا الصحف لعهدنا وعارضها بما كان يكتب من نوعها اوائل عهد الصحافة العربية في مصر والشام وتونس ، يدرك الخطوات السريعة التي خطوناها نحو المدنية وجددناها على ما يوافق اقليمنا وطباعنا والبسناها حلة من حللنا الشرقية البديعة . واساتذة هذا الشأن بمصر اليوم العقاد وطه حسين والمازني وعبد القادر حمزة وغيرهم من حملة الاقلام الذين يقودون قراءهم الى سوق عكاظ جديد وفي الشاميين كتاب من هذه الطبقة يطرسون على آثار كتاب مصر ولا نعلم في العراق وتونس والجزائر اناساً يصدق عليهم تعريف المجددين في الانشاء

ربما يتساءل القاريء وقد بلغ به البحث الى هذه الجملة وهل كان النساء يا ترى بعيدات عن هذه الحركة الادبية على حين لم يكن في بغداد ولا الاندلس ولا في صدر الاسلام بعيدات عنها ؟ (راجع الجزء الخاص بالصحابيات من طبقات ابن سعد الكبرى) و (بلاغات النساء) لابن طيفور واخبار الانداسيات في (نفح الطيب) فالجواب انهن شاركن بقدر اللزوم ولا يزال عددهن ينمو بنمو روح العلم فيهن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقديماً رأينا المحدثات والواعظات والمتفقهات والادبيات واليوم نرى الكاتبات والادبيات والباحثات والخطيبات فقد افتخرت مصر بنبوغ السيدة عائشة عصمت التيمورية شقيقة الاستاذ احمد تيمور باشا العالم المشهور ولها ديوان شعر سلس رقيق وجاءت بعدها السيدة ملك ناصف الملقبة بباحثة البادية وهي ابنة حفني ناصف شيخ الأدب في عصره وصاحبة كتاب (النسائيات) وكانت كاتبة مبدعة فعاجلتها المنية وكان يرجى منها ان تقلب حياة المرأة المصرية رأساً على عقب . وقد حللت الكاتبة المشهورة السيدة مارى زيادة الملقبة بمي حياة ملك ناصف في سفر بديع دل على علو كعبها في الادب وتحليل النفوس . وفي الشام ومصر اليوم زمرة من الكاتبات المجيدات المتشبعات بالآداب الغربية لا تحضرني الآن اسماؤهن باجمعهن . والنساء عندنا في دور الفهم والتطور والاقتباس .

ولا يسعنا ان نختم هذه المجالة قبل ان نرسل سلاماً طيباً الى كتابنا الشاميين في المهاجر ولا سيما في الامريكتين فانهم تشبعوا بالادب الافرنجي فأخذوا يكتبون لقومهم هنا وهناك بلسان جديد من التجدد . بل اكثر من التجدد واشتهر منهم امين الريحاني صاحب (الريحانيات) و(ملوك العرب وغيرهما) من تآليفه وجبران خليل جبران وهو كاتب ومصور ولكن تصويره الكلام بالحروف يتعاصى عليه احياناً اكثر من التصوير بالقلم والخطوط على ما يظهر فيبدو الغموض في تضاعيف سطوره ومثال من ذلك كتابه (الأجنحة المتكسرة) والكل منهما قراء ومعجبون بادبهما ولو كتب لهما ان يرزقا حظاً من البيان العربي يوازي حظهما من الآداب الانجليزية اذاً لجاء من شعرهما المنثور وخيالها اللطيف مادة للمجددين في ادب لغتنا . وهناك بضعة من الكتاب نزلوا ممالك الجنوب والشمال من اميركا فكتبوا و علموا قومهم ولم يكتب لنا الاطلاع على عامة ما خطته أناملهم ونقته افكارهم

ولا بأس من التصريح هنا برأي لنا خاص في الكتاب الاقدمين منهم والمحدثين وربما كان في حملة الاقلام من لا يسامحنا هذا الرأي ويعدون حكمنا من باب التهجم على من عرفوا كلهم شهد الله بالفضل واغنوا غناءهم في جانب الآداب . ولكن هو الرأي يصدره الصغير امام الكبير ولا اثم عليه ولا حرج . نريد ان نقول ان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عمر الطالب يقصر عن استيعاب جميع ما كتبه المنشئون في هذه الملة تصفحاً ودرساً فالاولى ان يختار الزبدة ويأخذ الأهم فالاهم مما يعينه على تحسين ملكته في البيان وما نخاله من حيث الاسلوب الا مخترع طريقته بنفسه متى تمت أدواته اللازمة واتقن ما لا غنية عنه من نحو اللغة وصرفها وبيانها وبلاغتها . والاولى الاقتصار في الدراسة على من اجمعت الامة على تبريزهم في هذه الصناعة كعمرو بن بحر الجاحظ وعبدالله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وسهل بن هرون واحمد بن يوسف واضرابهم ممن كتبوا مع طبعهم غير متعملين . وما قيل في الكتاب يقال في الشعراء جاهليهم ومخضرميهم ومولديهم وهم بحمد الله كثيرون جداً والأولى الاقتصار على بضعة من الشهود لهم بالاجادة المتناهية . اما ادب اهل العصور المتأخرة فان الطالب يقرأه حب الاطلاع أو لأخذ مادة عن تاريخ الادب في عصورهم وبعبارة أوجز يعتمد في البيان على القدماء من قبل الاسلام الى اواخر القرن الرابع كما يأخذ العلوم عن المحدثين من امم الحضارة وغيرهم

لا جرم ان الادب العربي قد اتسع امامه مجال التجدد الآن وما حدث فيه من التطور منذ نحو مائة سنة فكاد يلحقه بآداب الغربيين الا قليلاً دليل على قابلية هذه اللغة — بما فيها من الفصيح والمترادف والقلب والابدال وما لا تأباه من التصريف والاشتقاق والوضع والدلالة والمجاز والكناية — للتجدد في كل عصر وبرهان على مرونتها للاخذ بالاصلح على قاعدة الانتخاب الطبيعي مع مراعاة قواعدها وروابطها التي استقرت باستقرار القرآن الكريم

ولذلك ساغ لنا ان نقول : ان لغة القرآن صالحة للمدنية في كل زمان ومكان وان ادباً عرف تاريخه منذ خمسة عشر قرناً هو من السعة بحيث لا يتسع مبحث صغير كهذا لاستيعاب جرمه الكبير .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net